٤٥ – باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة

قَالَ الله تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} إِلَى قوله تَعَالَى: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا} [الكهف: ٦٠ – ٦٦]، وَقالَ تَعَالَى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الكهف: ٢٨].

==========

قَالَ الله تَعَالَى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} إِلَى قوله تَعَالَى: {قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) .

(**وَإِذْ قَالَ مُوسَى**) المراد به موسى بن عمران الرسول النبي رسول بني إسرائيل ، وهذا مذهب أكثر العلماء .

(**لِفَتَاهُ**) يوشع بن نون وهو من أنبياء بني إسرائيل .

(**لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً**) لا أبرح : أي لا أزال سائراً حتى (أبلغ مجمع البحرين) : أي هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين، أي ملتقاهما، وهذا الموضع هو الذي وعده الله بلقاء الخضر فيه .

(**أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً**) أو أسير زمنًا طويلاً حتى أصل إلى العبد الصالح؛ لأتعلم منه ما ليس عندي من العلم.

وسبب قول موسى ذلك : جاء بيانه في الحديث .

عن أُبَيّ بْن كَعْبٍ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (قَامَ مُوسَى عليه السلام خَطِيباً فِي بَنِى إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ . قَالَ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ مُوسَى أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتاً فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ. فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ فَحَمَلَ مُوسَى عليه السلام حُوتاً فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ ... . قَالَ يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ فَرَأَى رَجُلاً مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى . فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ قَالَ أَنَا مُوسَى . قَالَ مُوسَى بَنِى إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ . قَالَ إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ . قَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ...) متفق عليه .

فوائد هذه القصة :

١. استحباب زيارة أهل الخير في أماكنهم ومصاحبتهم ومجالستهم والتواضع معهم.
٢. فضيلة العلم .
٣. الرحلة في طلبه ، وأنه أهم الأمور .

فإن موسى رحل مسافة طويلة ولقي النصب في طلبه وترك القعود عند بني إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم ، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك .

رحل عقبة بن الحارث من مكة إلى المدينة ليسأل رسول الله ﷺعن مسألة واحدة .

ورحل جابر بن عبد الله من أجل حديث واحد إلى الشام إلى عبد الله بن أنيْس وهو حديث (يحشر الله تبارك وتعالى العباد عراة غرلاً بهماً ، قال : قلنا : ما بهماً : قال : ليس معهم شيء ، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد ويسمعه من قرُبَ : أنا الملك أنا الديان ...) رواه أحمد .

ورحل أبو أيوب الأنصاري من المدينة إلى عقبة بن نافع في مصر ليروي عنه حديثاً، فقدم مصر ونزل على راحلته ولم يحل رحلها، فسمع منه الحديث وركب راحلته وقفل إلى المدينة راجعاً وهو حديث (من ستر مؤمناً على خزيه ستر الله عليه يوم القيامة) رواه أحمد وعن ابن عباس قال (كان يبلغني عن الرجل من أصحاب النبي ﷺ ، فلو أشاء أرسِل إليه حتى يجيء فيحدثني فعلت ، ولكني كنت أذهب إليه ، فأقِيل على بابه حتى يخرج إليّ فيحدثني) .

قال القرطبي : في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم، وذلك في دأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح، وحصلوا على السعي الناجح ، فرسخت لهم في العلوم أقدام، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام، قال البخاري: ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث.

وقال ابن الجوزي : وهذه القصة قد حرَّضت على الرحلة في طلب العلم ، واتِّباع المفضول للفاضل طلباً للفضل ، وحثَّت على الأدب والتواضع للمصحوب.

وقال الزجاج : وفيما فعل موسى وهو من جملة الأنبياء من طلب العلم ، والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته ، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه.

وقال ابن عاشور : وفي هذا دليل على أن أهم ما يتسم به طالب العلم هو الصبر والطاعة للمعلم.

وَقالَ تَعَالَى (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) .

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يأمر الله تعالى نبيه أن يحبس نفسه مع المؤمنين الذين يدعون ربهم أول النهار وآخره مخلصين له ، لا يريدون بدعائهم إلا رضا ربهم .

قال الآلوسي : قوله تعالى (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغداة والعشى) أي : يعبدونه دائماً ، وشاع استعمال مثل هذه العبارة للدوام وهي نظير قولهم : ضرب زيد الظهر والبطن يريدون به ضرب جميع بدنه ، وأبقى غير واحد الغداة والعشي على ظاهرهما ولم يرد عموم الأوقات أي يعبدونه في طرفي النهار ، وخصا بالذكر لأنهما محل الغفلة والاشتغال بالأمور ، والمراد بتلك العبادة قيل ذكر الله تعالى وروى ذلك من طريق مغيرة عن إبراهيم ، وقيل : قراءة القرآن . (الآلوسي)

وقد نزلت هذه الآية في فقراء المهاجرين كعمار وصهيب وبلال وابن مسعود ونحوهم ، لما أراد صناديد الكفار من النبي ﷺ أن يطردهم عنه ، ويجالسهم بدون حضور أولئك الفقراء المؤمنين .

وقد أمر الله نبيه بعدم طردهم :

كما قال تعالى (وَلاَ تَطْرُدِ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغداة والعشي يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظالمين) .

ففي الآية :الحث على الصبر مع الصالحين والأتقياء ولو كانوا فقراء ، وقد قال تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

وفيها : أن العبرة بالإيمان والعمل الصالح لا بالمال والأحساب .

وفيها : فضل الجلساء الصالحين ولو كانوا فقراء .

وفيها : الحث على ذكر الله والاجتماع عليه .

وفيها : ينبغي على الإنسان أن يحرص على مجالسة من مجالسته تقوي الإيمان وتزيده .

وفيها : فضل الإخلاص لله .

٣٦٠ – وعن أنس ﷺ قَالَ (قَالَ أَبُو بكر لِعُمَرَ رضي الله عنهما بَعْدَ وَفَاةِ رسولِ الله ﷺ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهَا، بَكَتْ، فَقَالاَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ الله ﷺ ؟ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَم أنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرٌ لرسول الله ﷺ ولَكِنْ أَبكي أَنَّ الوَحْيَ قدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاءِ، فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا) رواه مسلم.

==========

(**نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يَزُورُهَا**) أي: اقتداء به ﷺ وإحياء لسُنَّته، وصلة لِمَا كان يُحبّ أن يصله .

(**فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهَا، بَكَتْ**) أم أيمن .

(**فَقَالاَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ الله ﷺ ؟**) المعنى: أن البكاء على الشخص إنما يكون عند فَقْده شيئًا مما يُحبه، ويفرح من أجله، ورسول الله ﷺ انتقل إلى الدار الآخرة التي هي خير له، وأحب إليه، كما قال عَزَّ وَجَلَّ (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) فكيف تبكين عليه؟

(**فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَم أنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرٌ لرسول الله ﷺ**) المعنى: أني لا أبكي لعدم علمي بخيريّة ما عند الله تعالى لرسوله ﷺ .

(**ولَكِنْ أَبكي أَنَّ الوَحْيَ قدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ**) تعني: أن الوحي لما انقطع بعد رسول الله ﷺ عَمِل الناس بآرائهم، فاختلفت مذاهبهم، فوقع التنازع والفتن، وعَظُمت المصائب والمحن، ولذلك نَجَم بعده النفاق، وفشا الارتداد، والشقاق، ولولا أن الله تعالى تدارك الدِّين بثاني اثنين – يعني: أبا بكر ﷺ لَمَا بقي منه أثر ولا عين.

(**فَهَيَّجَتْهُمَا**) أي: أثارت أبا بكر، وعمر – رضي الله عنهما –

(**عَلَى البُكَاءِ، فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا**) لَمّا تذكّرا ما ذكرته أم أيمن رضي الله تعالى عنهم .

١–زيارة الصالحين، وزيارة من كان صديقه يزوره.

٢–جواز زيارة الصالح لمن هو دونه.

٣–فضل أم أيمن –رضي الله عنها–.

وكانت حاضنته ﷺ : أم أيمن، بركة بنت ثعلبة بن حصن، غلبت عليها كنيتها، وكنيت باسم ابنها أيمن بن عبيد، وهي أم أسامة بن زيد، تزوجها زيد بعد عبيد بن زيد بن الحارث الخزرجي بعد زوجها السابق.

أسلمت قديمًا وهاجرت الهجرتين: إلى أرض الحبشة وإلى المدينة .

وكان ﷺ يزورها، وكانت تدل عليه. فقد أخرج مسلم عن أنس قال: انطلق رسول الله ﷺ إلى أم أيمن، فانطلقت معه، فناولته إناء فيه شراب قال: فلا أدري أصادفته صائمًا، أو لم يرده، فجعلت تصخب عليه، وتذمَّر عليه .

وكان من شأن أم أيمن – أم أسامة بن زيد – أنها كانت وصيفة لعبدالله بن عبدالمطلب، وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ بعد ما توفي أبوه، فكانت أم أيمن تحضنه، حتى كبر رسول الله ﷺ فأعتقها، ثم أنكحها زيد بن حارثة، ثم توفيت بعدما توفي رسول الله ﷺ بخمسة أشهر، رضي الله عنها .

٤–تأسي الصحابة ﷺ برسول الله ﷺ في كل أمر.

٥–جواز البكاء حزنا على فِراق الصالحين والأصحاب.

٦-جواز البكاء حزنا على فَقْد العلم والخير الذي كان يَتَنَزَّل بالوحي، فعند انقطاع الوحي؛ اختلفت الأهواء، وشاع التنازع، وحصلت الفتن والمصائب.

٣٦١ – وعن أَبي هريرة ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هذِهِ القَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيهِ؟ قَالَ: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ تَعَالَى، قَالَ: فَإِنِّي رَسُول اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ) رواه مسلم.

يقال: «أَرْصَدَهُ» لِكَذَا: إِذَا وَكَّلَهُ بِحِفْظِهِ، وَ «المَدْرَجَةُ» بِفَتْحِ الميمِ والرَّاءِ: الطَّرِيقُ، ومعنى «تَرُبُّهَا»: تَقُومُ بِهَا، وَتَسْعَى فِي صَلاحِهَا.

٣٦٢ – وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ (مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ: بِأَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا) رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسن»، وفي بعض النسخ: «غريب».

==========

(**زَارَ أَخًا لَهُ**) أي: أراد أن يزوره، وهو ، والمراد أخ في الله ، لقوله في آخر الحديث (غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عزوجل) فإنه أَبُو كان أخاه مِن نَسَبه لقال: إنه أخي في النسب، وأحبه، والله تعالى أعلم.

(**فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى**) أي: غير قرية الزائر .

(**فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ**) أي: وَكّل بحفظه .

قال النوويّ رحمه الله: معنى أرصده: أقعده يَرْقُبه، و"المدرجة" بفتح الميم، والراء: هي الطريق، سُمّيت بذلك؛ لأن الناس يَدرُجون عليها؛ أي: يمضون، ويمشون.

(**عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا**) أي: هيأ على طريقه ملَكًا، وأقعده يرقُبه .

قال القرطبيّ رحمه الله: قوله: "فأرصد الله على مدرجته"؛ أي: جعل الله ملَكًا على طريقه يرصُده؛ أي: يرتقبه، وينتظره ليبشّره، والْمَرْصَد: موضع الرّصَد، و"المدرجة" بفتح الميم: موضع الدرْجِ، وهو المشي.

(**قَالَ**) الملَك للرجل:

(**هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَة**) أي: هل لك من حقّ واجب عليه من النعم الدنيوية .

(تَرُبُّهَا) – بفتح المثناة الفوقية، وضمّ الراء، وتشديد الموحّدة–؛ أي: تملكها، وتستوفيها، أو معناه: تقوم بها، وتسعى في صلاحها، وتَحْفظها، وتراعيها، كما يُرَبِّي الرجل ولده، قاله المناويّ رحمه الله .

وقال القرطبيّ: "تربّها"؛ أي: تقوم بها، وتُصلحها، فتتعاهده بسببها.

(**قَالَ**) الرجل .

(**لَا**) أي: ليست لي عليه نعمة أَرُبّها .

(**غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُه فِي اللهِ عزوجل**) أي: ليس لي داعية إلى زيارته إلا محبتي إياه ابتغاء مرضاة الله تعالى.

قال القرطبيّ رحمه الله: قوله: "فقال: لا، غير أني أحببته في الله"؛ أي: لم أزره لغرض من أغراض الدنيا، ثمَّ أخبر بأنه إنما زاره من أجل أنه أحبه في الله تعالى، فبشّره الملَك بأن الله تعالى قد أحبّه بسبب ذلك .

(**قَالَ**) الملَك .

(**فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ**) أي: مرسلٌ منه تعالى

(**إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**) فضل عظيم للمحبة في الله .

(**طبت**) أي انشرحت لك عند الله تعالى من جزيل الأجر في ذلك، أو طهرت من الذنوب بغفرانه لك بذلك .

(**وطاب ممشاك**) أي عظم ثوابه .

(**وتبوأت من الجنة منزلاً**) أي اتخذت منها داراً تنزله .

١-الحديث الأول دليل على فضل الحب في الله وأنه من أسباب محبة الله للعبد. (وسيأتي إن شاء الله في الباب القادم فضل الحب في الله)

٢-الأحاديث دليل على فضل الزيارة في الله ، وللزيارة في الله فضائل :

أولاً : من أسباب محبة الله للعبد .

كما في حديث الباب .

وقال ﷺ (قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابّين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ) رواه الترمذي .

ثانياً : من أسباب دخول الجنة .

كما في حديث الباب (طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا ..) .

وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟". قلنا: بلى يا رسول الله، قال: "النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة) رواه الطبراني .

٣- لقد درج السلف -رحمهم الله- من الصحابة وغيرهم على السفر لزيارة إخوانهم والانتفاع بلقياهم؛ لأجر الزيارة وما يسمعونه من العلم، فكان أحدهم يسير الأيام ويواصل الليالي من أجل زيارة أخٍ له في الله.

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل تعاهد الزيارة للإخوان وتفقد أحوالهم؛ لأن الزائر في قصده الزيارة، يشتمل على مصادفة معنيين: أحدهما: استكمال الذخر في الآجل بفعله ذلك. قال بعض القدماء: إن الرجل إذا زار أخاً له في الله، لم يبق في السماء ملك إلا حياه بتحية مستأنفة لا يحييه ملك مثله لم تبق شجرة من شجر الجنة إلا نادت صاحبتها: ألا إن فلان ابن فلان زار أخاً له في الله. والآخر: التلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور، مع الانقلاب بغنيمتين معًا .

وقال عبد الله بن رجاء : كان عتبة الغلام يأوي المقابر والصحاري، ثم يخرج إلى السواحل فيقيم بها، فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فشهد الجمعة ورأى إخوانه فسلم عليهم .

وعن محمد بن سهل التميمي، قال: سمعت الفريابي يقول: جاءني وكيع بن الجراح من بيت المقدس وهو محرم بعمرة، فقال: يا أبا محمد لم يكن طريقي عليك، ولكن أحببت أن أزورك وأقيم عندك"، فأقام عندي ليلة، وجاءني ابن المبارك وقد أحرم بعمرة من بيت المقدس، فأقام عندي ثلاثًا، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، أقم عندي عشرة أيام، قال : لا الضيافة ثلاثة أيام .

قال أبو حاتم رضي الله عنه: "الناس في الزيارة على ضربين: منهم من صحح الحال بينه وبين أخيه، وتعرى عن وجود الخلل وورود البغض فيه، فإذا كان بهذا النعت، أحببت له الإكثار من الزيارة، والإفراط في الاجتماع؛ لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا نعته لا يورث الملالة، والإفراط في الاجتماع بين من هذه صفته يزيد في المؤانسة.

والضرب الآخر: لم يستحكم الود بينه وبين من يواخيه، ولا أداهما الحال إلى ارتفاع الحشمة بينهما فيما يبتذلان لمهنتيهما، فإذا كان بهذا النعت أحببت له الإقلال من الزيارة؛ لأن الإكثار منها بينهما يؤدي إلى الملالة، وكل مبذول مملول، وكل ممنوع ملذوذ، وقد روي عن النبي ﷺ أخبار كثيرة تصرّح بعدم الإكثار من الزيارة فعَنْ عبدالله بن عمرو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا.

٤-فضل عيادة المريض وأنها من أسباب دخول الجنة .

وقد جاءت النصوص الكثيرة في فضل عيادة المريض والأمر بها:

أ- عن البَرَاءِ بن عازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ (أمَرَنَا رسولُ الله ﷺ بعِيَادَةِ الْمَريضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِ المِظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلاَمِ) متفقٌ عَلَيْهِ.

ب- وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قَال (حَقُّ المسْلِمِ عَلَى المسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِس) متفقٌ عَلَيْهِ.

ج-وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ (إنَّ اللهَ - عز وجل - يَقُولُ يومَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أعُودُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلاَناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أطْعِمُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أسْقِيكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي). رواه مسلم

د-وعن أَبي موسى ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ (عُودُوا المريضَ، وَأطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا العَانِي) رواه البخاري

هـ- وعن ثوبان ﷺ، عن النبي ﷺ قَال (إنَّ المسْلِمَ إِذَا عَادَ أخَاهُ المسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ) قِيلَ: يَا رَسولَ الله، وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: (جَنَاهَا) واه مسلم.

و_ وعن عليّ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ (مَا مِنْ مُسْلِم يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوة إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ في الْجَنَّة) واه الترمذي.

ز_ وحديث الباب (من عاد مريضاً أو زار أخاً له، قيل له: طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً) .

٣٦٣ - وعن أَبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قَالَ (إِنَّمَا مَثلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

(يُحْذِيكَ): يُعْطِيكَ.

==========

(**فحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ**) بضمّ حرف المضارعة، من الإحذاء، كالإعطاء وزناً ومعنًى، وقال في "العمدة": "يحذيك" بضم الياء، وسكون الحاء، وكسر الذال المعجمة، كيُعطيك وزناً ومعنًى .

(**وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ**)؛ أي: تشتري

(**مِنْهُ**) من صاحب المسك .

(**وَنَافِخُ الْكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ**) بضمّ حرف المضارعة، من الإحراق؛ أي: يُحرق ثيابك بما تطاير من شرار الكير، وفي رواية البخاريّ (وكير الحدّاد يُحرق بيتك، أو ثوبك) .

١-الحديث دليل على فضل مجالسة الجليس الصالح .

والغرض من ضرب هذا المثل، هو النهي عن مجالسة من تؤذي مجالسته في دين أو دنيا، والترغيب في مجالسة من تنفع مجالسته فيهما ، ولهذا، فإن المسلم عليه أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار؛ لأنها تجعل الشرير خيرًا، كما أن مصاحبة الأشرار قد

تجعل الخيِّرَ شريرًا، قال بعض الحكماء: من صحب خيرًا أصابته بركته، فجليس أولياء الله لا يشقى، ولو لم يكن إنسانًا، مثل كلب أهل الكهف، فإن الله تعالى ذكره في كتابه العزيز، فقال : وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيد .

قال النووي : فيه فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير، والمروءة، ومكارم الأخلاق، والورع ، والعلم، والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشرّ، وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجوره، وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة. انتهى .

وقال ابن حجر : وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما .

وقال : المناويّ –رَحِمَهُ اللهُ–: المقصود منه: النهي عن مجالسة من تؤذي مجالسته في دِين، أو دنيا، والترغيب في مجالسة من تنفع مجالسته فيهما، وفيه إيذان بطهارة المسك، وحلّ بيعه، وضَرْب المثل، والعمل في الحُكم بالأشباه والنظائر .

وقال السعدي : مثَّل النبي ﷺ بهذين المثالين مبينًا أن الجليس الصالح جميع أحوالك معه وأنت في مغنم وخير، كحامل المسك الذي تنتفع بما معه من المسك، إما بهبة أو بعوض. وأقل ذلك مدة جلوسك معه، وأنت قرير النفس برائحة المسك، فالخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر، فإنه إما أن يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يهدي لك نصيحة، أو يحذرك من الإقامة على ما يضرك، فيحثك على طاعة الله وبر الوالدين وصلة الأرحام، ويبصرك بعيوب نفسك، ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، بقوله وفعله وحاله، فإن الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جنود مجندة، يقود بعضها بعضًا إلى الخير أو إلى ضده. وأقل ما تستفيده من الجليس الصالح– وهي فائدة لا يُستهان بها– أن تنكف بسببه عن السيئات والمعاصي، رعاية للصحبة، ومنافسة في الخير، وترفعًا عن الشر، وأن يحفظك في حضرتك ومغيبك، وأن تنفعك محبته ودعاؤه في حال حياتك، وبعد مماتك، وأن يدافع عنك بسبب اتصاله بك ومحبته لك، وتلك أمور لا تباشر أنت مدافعتها كما أنه قد يصلك بأشخاص وأعمال ينفعك اتصالك بهم ... إلى آخر ما قال –رحمه الله تعالى–. (بهجة قلوب الابرار)

فالصحبة الصالحة تعين المسلم على طاعة الله .

لقد احتاج موسى عليه السلام لمن يذكّره بالله ويعينه على الطاعة وهو من هو في نبوّته (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا) .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لصاحبه: اجلس بنا نؤمن ساعة. وكذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه لصديقه.

بركة المجالَسة، فإن من جالَسَهم تشمله بركةُ مُجالستهم، ويعمُّه الخيرُ الحاصل لهم، وإن لم يكن عمله بالغًا مبلغَهم .

كما في حديث أبي هريرة . قال : قال ﷺ (إنَّ لله ملائكةً يطوفون في الطرُق، يلتمسون أهل الذِّكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله، تنادوا: هلموا إلى حاجتكم ... وفي آخر الحديث: فيقول الله: فأشهدكم أني قد غفرتُ لهم، قال: يقول ملك منَ الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجُلساء لا يشقى بهم جليسُهم) .

يقول عمر: لولا ثلاثٌ ما أحببتُ العيش في هذه الحياة الدنيا: ظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات من الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايبَ الكلام، كما يُنتقَى أطايب الثمر".

وكم من شخص اهتدى، وأصبح منَ المحافظين على الصلاة، وترك مُجالسة أهل السُّوء، وتوجَّه إلى الدعوة، كلُّ ذلك بفضْل الله، ثُمَّ الرفقة الصالحة!

– قال أبو الفضل الجوهري : إن من أحبَّ أهل الخير نال من بركتهم ، كلبٌ أحب أهل فضل وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله

قال القرطبي بعد إيراده لكلام الجوهري : إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصُلَحاء والأولياء، حتى أخبر الله بذلك في كتابه جل وعلا ، فما ظنّك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين .

قال الراغب الأصبهاني : قال بعض الحكماء: من جالس خيّراً أصابته بركته فجليس أولياء الله لا يشقى، وإن كان كلباً ككلب أصحاب الكهف .

قال ابن كثير : وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال ، وهذا فائدة صحبة الأخيار ، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن .

وقد جاء في وصية علقمة العطاردي لابنه حين حضرته الوفاة قوله له : يا بني، إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤونة مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها، اصحَب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحَب من إذا قلتَ صدَّق قولك، وإن حاولتما أمرًا أمرك، وإن تنازعتما آثرك، فجمع له في هذه الوصية حقوق الصحبة وشروطها.

وفي مقابل هذا :

فإن كل صحبة لم تكن لله، وكل صداقة لم تكن في طاعة الله، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة .

قال تعالى (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِين) أي: أعداء، يعادي بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضا، "إلا المتقين"؛ فإنهم أخلاء في الدنيا والآخرة .

بل إن الإنسان يوم القيامة يتحسر على مصاحبته لرُفقاء السوء .

قال تعالى (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) .

قال بعض الحكماء: كل إنسان يأنس إلى شكلِه، كما أن كل طير يطير مع مثله، وإذا اصطحب اثنان بُرهةً من الزمان ولم يتشاكلاَ في الحال، فلا بُدَّ أن يفترقَا في الاستقبال.

رُئِيَ غرابٌ يومًا مع حمامة، فعَجِبَ الحكيم من ذلك، فقال: اتفقَا وليسَا من شكل واحدٍ، ثم طارَا فإذا هما أعرجان، فقال: مِن هنا اتَّفقا!

وقيل: سترُ العيوب والتجاهل والتغافل عن الذنوب شيمةُ أهل الدين، ومن التخلُّق بأخلاق علاَّم الغيوب، فوَرَد: يا مَن أظهرَ الجميل، وستر القبيح.

نظر أبو الدرداء ﷺ إلى ثورَيْنِ يحرثان في فدان، فوقف أحدُهما يَحُكُّ جسمه، فوقف الآخر؛ فبكى أبو الدرداء وقال: هكذا الإخوان في الله يعملان لله، فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر، وفي المثل: لولا الوئامُ لهلك الأنامُ.

صديق السوء ينقل صاحبَه وجليسه من الطاعة إلى المعصية، ويزيّن له عمل السوء .

روى البخاري ومسلم من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: لما حضرتْ أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ (يا عمِّ، قل: لا إله إلا الله، كلمةً أشهد لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالةَ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلَّمهم: هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: (أمَا والله لأستغفرنَّ لك، ما لم أُنْهَ عنك)، فأنزل الله عزَّ وجلَّ (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي

قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) متفق عليه .

الجليس السوء يدْعو جليسَه إلى مُماثلته في الوُقوع في المحرَّمات، ويخفِّف وقْع المعصية في قلبه.

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان : ودَّت الزانية لو زنى النساء كلُّهن .

وجليس السوء ينصرف عن صاحبه عند أدنى خلاف أو فوات مصلحة؛ بل وتحصل البغْضاء بعد ذلك، قال عبد الله بن المعتز: إخوان السُّوء ينصرفون عند النَّكْبة، ويُقبِلون مع النِّعمة.

قيل :

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

فَإِنْ كَانَ ذَا شَرٍّ فَجَنِّبْهُ سُرْعَةً ... وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ فَقَارِنْهُ تَهْتَدِي

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ... وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي .

وقيل :

لَا تَصْحَبِ الْكَسْلَانَ فِي حَالَاتِهِ ... كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادِ آخَرَ يَفْسُدُ

عَدْوَى الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةٌ ... كَالْجَمْرِ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَتَخْمُدُ .

٤-وأهمية الصحبة الصالحة للمسلم ، وخطر الصحبة السيئة :

يشير إليها حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ: لاَ، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ. فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا. فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ ...). رواه مسلم

قال النووي رحمه الله تعالى : قال العلماء : في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب ، والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدي بهم وينتفع بصحبتهم ، وتتأكد بذلك توبته .

٥ – مشروعيّة ضرب الْمَثَل، والعمل في الحُكم بالأشباه والنظائر، قال الإمام ابن حبّان –رَحِمَهُ اللهُ– في "صحيحه" بعد إخراج الحديث: في هذا الخبر دليلٌ على إباحة المقايسات في الدين.

٦ – مدح المسك المستلزم لطهارته .

٧-مدح الصحابة، حيث كان جليسهم رسول الله ﷺ حتى قيل: ليس للصحابي فضيلة أفضل من فضيلة الصحبة، ولهذا سُمُّوا بالصحابة، مع أنهم علماء، كرماء، شجعاء ... إلى تمام فضائلهم.

٣٦٤ – وعن أَبي هريرة ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ (تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاك) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ومعناه: أَنَّ النَّاسَ يَقْصدونَ فِي العَادَة مِنَ المَرْأَةِ هذِهِ الخِصَالَ الأَرْبَعَ، فَاحْرَصْ أنتَ عَلَى ذَاتِ الدِّينِ، وَاظْفَرْ بِهَا، وَاحْرِصْ عَلَى صُحْبَتِها.

==========

(**تُنْكَحُ اَلْمَرْأَةُ**) أي: يُرغب بالنكاح بها، وعند النسائي (النساء).

(**لِأَرْبَعٍ**) أي: لأربع خصال، واللام للتعليل، والمعنى الناس يراعون هذه الخصال، بعضهم يختار كذا وبعضهم يختار كذا، فالحديث سيق لبيان مراعاة الناس.

(و**لِحَسَبِهَا**) الحسب في الأصل الشرف بالآباء والأقارب، مأخوذ من الحساب، لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم وحسبوها، فيحكم لمن زاد على غيره. وقيل: المراد بالحسب هنا الفعال الحسنة.

(**فَاظْفَرْ بِذَاتِ اَلدِّينِ**) أي: احرص بالزواج بالمرأة ذات الدين، تكتسب بها مصالح الدنيا والآخرة.

قال الحافظ: والمعنى، أن اللائق بذي الدين والمروءة، أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء، لا سيّما فيما تطول صحبته.

(تَرِبَتْ يَدَاكَ) لصقت يداك بالتراب، والعرب تعني به حصول الفقر –كلمة دعاء لا يراد معناها – يقصدون بها التحريض بها، واللوم من جهة أخرى.

١–معنى الحديث :

قال النووي: الصَّحِيح فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيث أَنَّ النَّبِيّ ﷺ أَخْبَرَ بِمَا يَفْعَلهُ النَّاس فِي الْعَادَة فَإِنَّهُمْ يَقْصِدُونَ هَذِهِ الْخِصَال الْأَرْبَع وَآخِرهَا عِنْدهمْ ذَات الدِّين، فَاظْفَرْ أَنْتَ أَيّهَا الْمُسْتَرْشِد بِذَاتِ الدِّين. لَا أَنَّهُ أَمَرَ بِذَلِكَ.

وقال القرطبي: أي: هذه الأربع الخصال هي الْمُرغِّبة في نكاح المرأة، وهي التي يقصدها الرِّجال من النساء، فهو خبرٌ عما في الوجود من ذلك، لا أنه أمرٌ بذلك، وظاهره إباحة النكاح؛ لقصد مجموع هذه الخصال أو لواحدة منها، لكن قصد الدِّين أولى وأهم؛ ولذلك قال (فاظفر بذات الدِّين).

٢–كيفية العمل بهذا الحديث:

يبدأ بالسؤال عن الصفات التي يرغب بها – يسأل مثلاً عن جمالها – فإذا تحقق سأل عن الدين، فان تحقق أقدم وإلا أحجم، بخلاف ما إذا سأل عن الدين أولاً وتحقق ثم سأل عن الجمال ولم يتحقق الجمال ثم أحجم، فيكون رد المرأة، مع أنها ذات دين والرسول ﷺ يقول فاظفر بذات الدين تربت يداك.

٣– حث النبي ﷺ على الزواج بذات الدين لحكم:

أولاً: فهي تعين على طاعة الله.

ثانياً: تُصلح من يتربى علي يديها.

ثالثاً: ويأمن أولاده عندها.

رابعاً: تحفظ ماله وبيته في غيبته.

قال الغزالي: وليس أمره ﷺ بمراعاة الدين نهيًا عن مراعاة الجمال، ولا أمرًا بالإضراب عنه، وإنما هو نهي عن مراعاته مجردًا عن الدين، فإن الجمال في غالب الأمر يرغب الجاهل في النكاح دون الالتفات إلى الدين، فوقع في النهي عن هذا. (الإحياء) .

وقد جاء في حديث ثَوْبَانَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ فِي الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا نَزَلَ قَالُوا: فَأَيَّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ قَالَ عُمَرُ: فَأَنَا أَعْلَمُ لَكُمْ ذَلِكَ فَأَوْضَعَ عَلَى بَعِيرِهِ فَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا فِي أَثَرِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ فَقَالَ (لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ) رواه الترمذي.

قال المباركفوري رحمه الله (وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه) أي: على دينه، بأن تذكره الصلاة، والصوم، وغيرهما من العبادات، وتمنعه من الزنا، وسائر المحرمات. ...

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (أَرْبَعٌ مِنَ اَلسعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ ألوَاسِعُ، وَاَلجَار الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ اَلهَنِيءُ، وَأَرْبَع مِنَ اَلشَّقَاوَةِ: اَلْجَارُ السُّوءُ، والمرأة اَلسُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ اَلضيقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ) رواه ابن حبان .

٤-ينبغي للإنسان أن يحرص على قبول وصية النبي ﷺ في الحرص على ذات الدين، قال تعالى (وإن تطيعوه تهتدوا).

٥- مصاحبة أهل الدين والاستقامة خير وبركة لأنه يستفيد من أخلاقهم وطباعهم.

٦- على الإنسان أن ينظر في عواقب الأمور.

٧- أنه لا يَحْرم على الإنسان أن يرغب في نكاح ذات الحسب والجمال والمال.

٣٦٥ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ لِجبريل: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورنَا أكثَر مِمَّا تَزُورنَا؟» فَنَزَلَتْ (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) رواه البخاري.

==========

١-استحباب طلب الإنسان من صاحبه الصالح أن يزورَه، وأن يكثرَ من زيارته . (نووي) .

٢-حبة النبي ﷺ لجبريل عليه السلام وشوقه لرؤيته، وللعلم بما يحمل معه من وحي.

وجبريل اسم للملَك المرسل من الله تعالى بالوحي لرسله .

ومن أسماء جبريل "الناموس ، وورد ذلك في حديث بدء الوحي، حيث قال ورقة بن نوفل قريب خديجة عن الحالة التي عرضت للنبي ﷺ بغار حِراء: "هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى" وقال الهروي: " سُمِّي بذلك لأن الله تعالى خصه بالغيب والوحي .

٣-استحباب زيارة الإخوة في الله ودعوتهم للزيارة، والسؤال عند التأخر.

٤-جواز استفسار المسلم من أخيه المسلم عن سبب تأخره عنه؛ لأن فيه علامة المحبة، وفيه من التحبب ما هو ممدوح شرعاً.

٥-الملائكة لا تتصرف ولا تتنزل إلا بأمر الله.

٦-طلب الصديق من صديقه كثرة زيارته، إذا لم يكن مانع من شغل أو غيره.

٣٦٦ - وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ عن النَّبِيّ قَالَ (لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ) رواه أَبُو داود والترمذي بإسناد لا بأس بِهِ.

==========

١-النهي عن مصاحبة الكفار ومودتهم وصداقتهم . لأن مصاحبتهم مضرة في الدين .

٢-قوله (ولا يأكل طعامك إلا تقي) المقصود منه: المصاحبة والمخالطة والمؤاكلة المجردة التي لا يقصد من ورائها مصلحة شرعية، أو لم تقتضها حاجة؛ لما في مصاحبة أهل المعاصي والفسق، من أثر على دين العبد وخلقه، وكما يقال: الصاحب ساحب، إما إلى خير أو إلى شر .

قال الخطابي رحمه الله: هذا إنما جاء في طعام الدعوة دون طعام الحاجة؛ وذلك أن الله سبحانه قال: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) ومعلوم أن أسراهم كانوا كفاراً غير مؤمنين ولا أتقياء ... وإنما حذر من صحبة من ليس بتقي، وزجر عن مخالطته ومؤاكلته ؛ فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب (معالم السنن) .

وقال المناوي رحمه الله: (ولا يأكل طعامك إلا تقي) لأن المطاعمة توجب الألفة، وتؤدي إلى الخلطة، بل هي أوثق عرى المداخلة ومخالطة غير التقي تخل بالدين ، وتوقع في الشبه والمحظورات ، فكأنه ينهى عن مخالطة الفجار؛ إذ لا تخلو عن فساد: إما بمتابعة في فعل، أو مسامحة في إغضاء عن منكر، فإن سلم من ذلك ، ولا يكاد ، فلا تخطئه فتنة الغير به، وليس المراد حرمان غير التقي من الإحسان؛ لأن المصطفى ﷺ أطعم المشركين، وأعطى المؤلفة المئين بل يطعمه ولا يخالطه . (فيض القدير) .

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: ليس الأكل مع الكافر حراماً، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، أو المصلحة الشرعية، لكن لا تتخذهم أصحابا، فتأكل معهم من غير سبب شرعي أو مصلحة شرعية، ولا تؤانسهم، وتضحك معهم، ولكن إذا دعت إلى ذلك حاجة، كالأكل مع الضيف، أو ليدعوهم إلى الله، ويرشدهم إلى الحق، أو لأسباب أخرى شرعية، فلا بأس ... وإباحة طعام أهل الكتاب لنا، لا تقتضي اتخاذهم أصحابا وجلساء، ولا تقتضي مشاركتهم في الأكل والشرب من دون حاجة ولا مصلحة شرعية .

٣٦٧ – وعن أَبي هريرة ﷺ : أن النَّبيّ ﷺ قَالَ (الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) رواه أَبُو داود والترمذي بإسناد صحيح، وَقالَ الترمذي: «حديث حسن».

==========

١–معنى الحديث : أن الشّخصُ يتَأثَّر بحَال خَلِيلِه إن كانَ صَديقُه طَيّبًا يَستَفِيدُ الطّيبَ بصُحبَته وإن كانَ خَبِيثًا يُصِيبُه الخُبث.

قال الغزالي : مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد ومخالطته تزهد في الدنيا، لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى، هذا وفي النهاية: الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل، وقد يكون بمعنى مفعول، والخلة بالضم الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه.

قال الخطابي رحمه الله: قوله (المرء على دين خليله) معناه: لا تُخالل إلا من رضيت دينه وأمانته، فإنك إذا خاللته قادك إلى دينه ومذهبه، فلا تغرر بدينك، ولا تخاطر بنفسك، فتخالل من ليس مرضيًا في دينه ومذهبه .

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: انظروا إلى فرعون معه هامان! انظروا إلى الحجاج معه يزيد بن أبي مسلم شرُ منه، انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة فقومه وسدده .

وقال ابن مسعود ﷺ : ما من شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب .

وقال ابن مسعود أيضاً : اعتبروا الناس بأخدانهم [أي أصدقائهم]، فإن الرجل يُخادن من يعجبه نحوه .

وقال مالك رحمه الله: والناس أشكال كأشكال الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، والصعو مع الصعو، وكل إنسان مع شكله .

وقال ابن تيمية رحمه الله : الناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض .

وقال بعض الحكماء: اعرف أخاك بأخيه قبلك ، يعني أنه سيكون على مذهب ومسلك أخيه الذي جالسه قبل أن يجالسك.

وقال ابن حبان رحمه الله: إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء من تقلبه، وسكونه هو الاعتبار بمن يحادثه ويوده؛ لأن المرء على دين خليله، وطير السماء على أشكالها تقع .

وقال المنتصر بن بلال رحمه الله:

يزين الفتى في قومه ويشينه وفي غيرهم: أخدانه ومداخلهْ

لكل امرئ شكل من الناس مثله وكل امرئ يهوي إلى من يشاكلهْ .

٣-المرء يُقوّي دينه بِصُحبة المؤمنين ويَقِلُّ بِصُحبَة الفاسقين.

٣٦٨ – وعن أَبي موسى الأشعري ﷺ : أن النَّبيّ ﷺ قَالَ (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية: قيل للنبي ﷺ الرَّجُلُ يُحبُّ القومَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) .

٣٦٩ – وعن أنس ﷺ: أنَّ أعرابيًا قَالَ لرسول الله ﷺ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُول الله ﷺ :«مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: حُبَّ الله ورسولهِ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ ، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية لهما (مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثيرِ صَوْمٍ، وَلاَ صَلاَةٍ، وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ) .

٣٧٠ – وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ (جاء رجلٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول الله، كَيْفَ تَقُولُ في رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ (المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

(**فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ**) وفي رواية: "متى تقوم الساعة؟.

(**قَالَ وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا**) ما" استفهاميّة؛ أي: أيّ شيء هيّأت للساعة؟.

قال الكرمانيّ رحمهُ اللهُ: سلك النبيّ ﷺ مع السائل أسلوب الحكيم، وهو تلقّي السائل بغير ما يَطْلُب مما يُهِمّه، أو هو أهمّ. انتهى.

وقال الطيبيّ رحمهُ اللهُ: سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم؛ لأنه سأل عن وقت الساعة، وإبّان إرسائها، فقيل له: فيم أنت من ذكراها؟ وإنما يُهمّك أن تهتمّ بأُهبتها، وتعتني بما ينفعك عند إرسائها من العقائد الحقّة، والأعمال الصالحة، فأجاب بقوله: "ما أعددت لها إلا أني أحبّ الله ورسوله".

(**قَالَ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَه**) ﷺ، وفي الرواية الأخرى (أَنَّهُ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرٍ، أَحْمَدُ عَلَيْهِ نَفْسِي"، وفي رواية سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ (حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ خَارِجَيْنِ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَلَقِينَا رَجُلًا عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ "، قَالَ: فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ، وَلَا صِيَامٍ، وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ... ".

(**قَالَ إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**) أي: مُلْحَقٌ بهم حتى تكون من زمرتهم، قال تعالى (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا).

(**فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا**) وفي الرواية الأخرى (قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ، وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ كُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ).

١ – الحديث دليل على فضل حب الله تعالى، ورسوله ﷺ والصالحين، وأهل الخير الأحياء والأموات، فإنه يكون معهم في الجنّة.

وقد أخرج الطبرانيّ عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحبّ إلي من نفسي، وإنك لأحب إليّ من ولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك، فما أصبر حتى آتيَ، فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يَرُدّ عليه النبيّ ﷺ شيئًا، حتى نزل جبريل؛ بهذه الآية (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ).

٢ – **قال النووي**: أن من فضل محبة الله تعالى ورسوله ﷺ امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، والتأدب بالآداب الشرعية.

وقال القاضي عياض رحمهُ اللهُ: فيه أن محبة الله تعالى، ومحبّة رسوله ﷺ الاستقامة على طاعتهما، وترك مخالفتهما، وإذا أحبّهما تأدّب بآداب شريعتهما، ووقف عند حدودهما، وأن حبه لله، ولنبيّه ﷺ ولمن أحبه من الصالحين، ومَيْله بقلبه إليهم إنما ذلك كلّه لله تعالى، وطاعة له، وثمرة صحّة إيمانه، وشَرْح قلبه، وهو من أعظم الدرجات، وأرفع منازل الطاعات، ومن أعمال القلوب التي الأجر عليها أعظم من أجر أعمال الجوارح، وإثابة الله على ذلك أن رُفع إلى منزلة من أحبه فيه، وإن لم يكن له أعمال مثل أعماله، وهو فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. انتهى.

وقال القاري رحمهُ اللهُ: ومن علامة المحبة الصادقة أن يختار أمر المحبوب، ونهيه على مراد غيره، ولذا قالت رابعة العدويّة [من البسيط]:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ.

٣ – قوله (**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**) أي: مُلْحَقٌ بهم حتى تكون من زمرتهم، قال تعالى (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا).

قال الحافظ: وبهذا يندفع إيراد أن منازلهم متفاوتة، فكيف تصحّ المعية؟

فيقال: إن المعية تحصل بمجرد الاجتماع في شيء ما، ولا تلزم في جميع الأشياء، فإذا اتَّفَق أن الجميع دخلوا الجنة صدقت المعيّة، وإن تفاوتت الدرجات.

٤ – قول أنس (**فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا**).

وفي الرواية الأخرى (قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ، وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ كُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ).

قال القرطبي: إنما كان فَرَحُهم بذلك أشدّ؛ لأنَّهم لم يسمعوا أن في أعمال البرّ ما يحصل به ذلك المعنى من القرب من النبيّ ﷺ والكون معه، إلا حبّ الله تعالى ورسوله ﷺ فأَعْظِمْ بأمر يُلحق المقصّر بالمشمّر، والمتأخّر بالمتقدّم.

٥ – قوله (**قَالَ وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا**).

قال الكرمانيّ رحمهُ اللهُ: سلك النبيّ ﷺ مع السائل أسلوب الحكيم، وهو تلقّي السائل بغير ما يَطْلُب مما يُهِمّه، أو هو أهمّ. انتهى

وقال الطيبيّ رحمهُ اللهُ: سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم؛ لأنه سأل عن وقت الساعة، وإبّان إرسائها، فقيل له: فيم أنت من ذكراها؟ وإنما يُهمّك أن تهتمّ بأُهبتها، وتعتني بما ينفعك عند إرسائها من العقائد الحقّة، والأعمال الصالحة، فأجاب بقوله: "ما أعددت لها إلا أني أحبّ الله ورسوله".

٦ – لَا يُشْتَرَط فِي الِانْتِفَاع بِمَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ أَنْ يَعْمَل عَمَلهمْ؛ إِذْ لَوْ عَمِلَهُ لَكَانَ مِنْهُمْ وَمِثْلهمْ، وَقَدْ صُرِّحَ فِي الْحَدِيث الَّذِي بَعْد هَذَا بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَق بِهِمْ. قَالَ أَهْل الْعَرَبِيَّة: (لَمَّا) نَفْي لِلْمَاضِي الْمُسْتَمِرّ، فَيَدُلّ عَلَى نَفْيه فِي الْمَاضِي، وَفِي الْحَال. بِخِلَافِ (لَمْ) فَإِنَّهَا تَدُلّ عَلَى الْمَاضِي فَقَطْ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَلْزَم مِنْ كَوْنه مَعَهُمْ أَنْ تَكُون مَنْزِلَته وَجَزَاؤُهُ مِثْلهمْ مِنْ كُلّ وَجْه. (قاله النووي)

٧ – دلّ الحديث على أن من أحب عبدًا في الله، فإن الله جامِع بينه وبينه في جنّته، ومُدخِله مَدخَله، وإن قصّر عن عمله، وهذا معنى قوله: "ولم يلحق بهم"؛ يعني في العمل، والمنزلة، وبيان هذا المعنى –والله أعلم– أنه لما كان المحبّ للصالحين إنما أحبهم من

أجل طاعتهم لله، وكانت المحبة عملًا من أعمال القلوب، واعتقادًا لها أثاب الله معتقد ذلك ثواب الصالحين؛ إذ النية هي الأصل، والعمل تابع لها، والله يُؤتي فضله من يشاء. (قاله ابن بطال).

٨ – جاء في الرواية الأخرى (فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ، وَلَا صِيَامٍ، وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: "فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ").

قال القرطبيّ رحمهُ اللهُ: قوله (مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ ...) يعني بذلك: النوافل من الصلاة، والصيام، والصدقة؛ لأن الفرائض لا بدّ له، ولغيره من فعلها، فيكون معناه: أنه لم يأت منها بالكثير الذي يُعتمد عليه، ويُرجى دخول الجنّة بسببه، هذا ظاهره.

ويَحْتَمل أن يكون أراد: أن الذي فَعَله من تلك الأمور، وإن كان كثيرًا، فإنه محتقَر بالنسبة إلى ما عنده من محبّة الله تعالى، ورسوله ﷺ، فإنه ظهر له أن محبّة الله تعالى ورسوله ﷺ أفضل الأعمال، وأعظم القُرَب، فجعلها عُمْدته، واتّخذها عُدّته. والله تعالى أعلم. (المفهم)

٣٧١ – وعن أَبي هريرة ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ (النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، ومَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ) رواه مسلم.

وروى البخاري قوله: «الأَرْوَاحُ ... » إلخ مِنْ رواية عائشة رضي الله عنها.

==========

١–قوله (**الناس معادن**) أي: أصولٌ مختلفةٌ، ما بين نفيس، وخسيس، كما أن المعدن كذلك .

٢–قوله (**خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّة خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَام إِذَا فَقُهُوا**) مَعْنَاهُ أَنَّ أَصْحَاب الْمُرُوآت وَمَكَارِم الْأَخْلَاق فِي الْجَاهِلِيَّة إِذَا أَسْلَمُوا أَوْ فَقُهُوا فَهُمْ خِيَار النَّاس. قَالَ الْقَاضِي: وَقَدْ تَضَمَّنَ الْحَدِيث فِي الْأَجْوِبَة الثَّلَاثَة أَنَّ الْكَرَم كُلّه عُمُومه وَخُصُوصه وَمُجْمَله وَمُبَانه. إِنَّمَا هُوَ الدِّين مِنْ التَّقْوَى وَالنُّبُوَّة وَالْإِغْرَاق فِيهَا وَالْإِسْلَام مَعَ الْفِقْه، بِضَمِّ الْقَاف عَلَى الْمَشْهُور، وَحُكِيَ كَسْرُهَا أَيْ صَارُوا فُقَهَاء عَالِمِينَ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة الْفِقْهِيَّة وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال المناوي : (إِذَا فَقُهُوا) بضم القاف على الأجود، ذكره أبو البقاء؛ أي: صاروا فقهاء، ففيه إشارة إلى أن نوع الإنسان إنما يتميز عن بقية الحيوان بالعلم، وأن الشرف الإسلامي لا يتمّ إلا بالفقه، وأنه الفضيلة العظمى، والنعمة الكبرى، والمراد بالخيار في هذا ونحوه: من كان متصفًا بمحاسن الأخلاق، كالكرم، والفقه، والحِلم، وغيرها، متوقّيًا لمساوئها، كالبخل، والفجور، والظلم، وغيرها.

٣– قوله (**وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ**) **قال النوويّ**: قال العلماء: معناه جموع مجتمعة، أو أنواع مختلفة، وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه، وقيل: إنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها، وتناسبها في شِيَمها، وقيل: لأنها خُلقت مجتمعة، ثم فُرِّقت في أجسادها، فمن وافق بشِيَمه أَلِفَه، ومن باعده نافره، وخالفه، وقال الخطابيّ وغيره: تآلُفها هو ما خلقها الله عليه من السعادة، أو الشقاوة في المبتدأ، وكانت الأرواح قسمين، متقابلين، فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت، واختلفت، بحسب ما خُلقت عليه، فيميل الأخيار إلى الأخيار، والأشرار إلى الأشرار، والله أعلم.

وقال في "الفتح": قال الخطابيّ: يَحْتَمِل أن يكون إشارةً إلى معنى التشاكل في الخير والشر، والصلاح والفساد، وأن الْخَيِّرَ من الناس يَحِنّ إلى شكله، والشرير نظير ذلك، يميل إلى نظيره، فتعارُف الأرواح يقع بحَسَب الطباع التي جُبلت عليها من خير وشرّ، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت. ويَحْتَمِل أن يراد الإخبار عن بدء الخلق في حال الغيب، على ما جاء أن الأرواح خُلقت قبل الأجسام، وكانت تلتقي، فتتشامّ فلمّا حَلّت بالأجسام تعارفت بالأمر الأول، فصار تعارُفها وتناكرها على ما سَبَق

من العهد المتقدّم. وقال غيره: المراد أن الأرواح أول ما خُلقت خُلقت على قسمين، ومعنى تقابُلها؛ أن الأجساد التي فيها الأرواح إذا التقت في الدنيا ائتلفت، أو اختلفت، على حسب ما خُلقت عليه الأرواح في الدنيا إلى غير ذلك بالتعارف.

قال الحافظ: ولا يعكر عليه أن بعض المتنافِرَين ربما ائتلفا؛ لأنه محمول على مبدأ التلاقي، فإنه يتعلق بأصل الخلقة، بغير سبب، وأما في ثاني الحال فيكون مكتسَبًا؛ لتجذُّد وصْفٍ يقتضي الألفة بعد النفرة، كإيمان الكافر، وإحسان المسيء. انتهى

٤- قاله ابن الجوزيّ رحمهُ اللهُ: ويستفاد من هذا الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نَفْرةً ممن له فضيلة، أو صلاح، ينبغي أن يبحث عن المقتضي لذلك؛ ليسعى في إزالته، حتى يتخلص من الوصف المذموم، وكذلك القول في عكسه.

٥-بيان أن الناس معادن كمعادن الذهب والفضّة.

٦- بيان فضل الفقه في الدين؛ لأن من تحلّى بها كان أفضل من غيره، ولو كان شريف النسب، وقد قال النبيّ ﷺ : من يرد الله به خيرًا يفقّهه في الدين"، فالفقه علامة الخيريّة، وعلامة السعادة في الدنيا والآخرة.

٧-ذمّ الجهل، وذمّ أهله؛ لأنه وإن كان شريف النسب فجَهْله يجعله وضيعًا، ولقد أحسن من قال، وأجاد في المقال:

الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ ... وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ العِزِّ وَالشَّرَفِ

٨-من عظيم دلائل النبوة، قوله ﷺ (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) تجد ذلك مقرر بين الأرواح، جلي بين النفوس، ظاهر بين الخلائق، تطمئن لأحدهم من الحديث الأول، من النظرة الأولى، دون سابق لقاء أو وصال، والآخر تشذ منه بلا أسباب ولا مقدمات، أنها سرائر الأرواح! .

٣٧٢ – وعن أُسَيْر بن عمرو، ويقال: ابن جابر وَهُوَ – بضم الهمزة وفتح السين المهملة – قَالَ (كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ إِذَا أَتَى عَلَيهِ أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ ﷺ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِر؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: يَأتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ، فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَل، فَاسْتَغْفِرْ لي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ، قَالَ: ألاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ في غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ قَلِيلَ المَتَاع، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقولُ: «يَأتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَافْعَلْ» فَأَتَى أُوَيْسًا، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ) رواه مسلم.

وفي رواية لمسلم أيضًا عن أُسَيْر بن جابر ﷺ (أَنَّ أَهْلَ الكُوفَةِ وَفَدُوا عَلَى عُمَرَ ﷺ وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هاهُنَا أَحَدٌ مِنَ القَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عمرُ: إِنَّ رَسُول الله ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا يَأتِيكُمْ مِنَ اليَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، لاَ يَدَعُ باليَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا الله تَعَالَى، فَأَذْهَبَهُ إِلاَّ مَوضِعَ الدِّينَارِ أَو الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

وفي رواية لَهُ: عن عمر ﷺ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول (إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُم) .

قوله: «غَبْرَاءِ النَّاسِ» بفتح الغين المعجمة، وإسكان الباءِ وبالمد: وهم فُقَرَاؤُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَمَنْ لا يُعْرَفُ عَيْنُهُ مِنْ أخلاطِهِمْ «وَالأَمْدَادُ» جَمْعُ مَدَدٍ: وَهُمُ الأَعْوَانُ وَالنَّاصِرُونَ الَّذِينَ كَانُوا يُمِدُّونَ المُسْلِمِينَ في الجِهَاد.

==========

(**عن أُسَيْر بن عمرو، ويقال: ابن جابر**) وَهُوَ – بضم الهمزة وفتح السين المهملة –

(**إِذَا أَتَى عَلَيهِ أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ**) بفتح الهمزة، جمع مَدَد بفتحتين، وهو: الجيش، وقال النوويّ: هم الجماعة الْغُزاة الذين يُمدّون جيوش الإسلام في الغزو، واحدهم مَدَدٌ.

(**حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ**) أي : وصل إليه وأدركه .

(**قَالَ: مِنْ مُرَادٍ**) بضمّ الميم: القبيلة المعروفة .

(**ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟**) هو بفتحتين: بَطْن من مراد .

(**قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ**) داء معروف .

(**لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ**) أي: لو حلف على وقوع شيء، أوقعه الله إكراماً له بإجابة سؤاله، وصيانته من الحِنْث في يمينه، وهذا لعِظَم منزلته عند الله تعالى، وإن كان حقيراً عند الناس .

(**فَاسْتَغْفِرْ لي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ**) أويس .

(**قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ**) أي: ضعافهم، وصعاليكهم، وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم، وهذا من إيثار الخمول، وكَتْم حاله .

قال القرطبيّ – رحمه الله –: قوله: "أكون في غبراء الناس"؛ الرواية الجيدة فيه: بفتح الغين المعجمة، وسكون الباء الموحدة، وهمزة ممدودة؛ ويعني به: فقراء الناس، وضعفاءهم .

(**فَقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ قَلِيلَ المَتَاعِ**) قال النوويّ – رحمه الله –: هو بمعنى الرواية الأخرى: "قليل المتاع"، والرَّثاثة، والْبَذَاذة: بمعنًى، وهو حَقَارة المتاع، وضيق العيش.

(**لَقِيتَ**) بفتح التاء للخطاب، وهو بتقدير همزة الاستفهام؛ أي: أَلَقِيْت .

(**عُمَرَ**) بن الخطاب؟ .

(**قَالَ**) الرجل .

(**نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ**) أويس .

(**لَهُ**) أي: لهذا الرجل .

(**فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ**) مثلّث الطاء؛ أي: تفطّنوا له .

(**أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟**) **قال النوويّ** – رحمه الله –: هو أويس بن عامر، كذا رواه مسلم هنا، وهو المشهور، قال ابن ماكولا: ويقال: أويس بن عمرو، قالوا: وكنيته أبو عمرو، قُتل بصفين، وهو القَرَنِيّ من بني قَرَن – بفتح القاف والراء – وهي بطن من مُراد، وهو قرن بن رَدْمان بن ناجبة بن مراد، وقال الكلبيّ: ومراد اسمه جابر بن مالك بن أُدَد بن صحب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سباد، هذا الذي ذكرناه من كونه من بطنٍ من مراد، وإليه نُسب وهو الصواب، ولا خلاف فيه، وفي "صحاح الجوهريّ": أنه منسوب إلى قَرْن المنازل: الجبل المعروف ميقات الإحرام لأهل نجد، وهذا غلط فاحش، وسبق هناك التنبيه عليه؛ لئلا يُغترّ به. (نووي)

وقال القرطبيّ – رحمه الله –: اختُلف في نسبه، فقيل: أويس بن عامر بن جَزْء بن مالك، وهو الصحيح. وقيل: أويس بن أنيس، وقيل: أويس بن الخليص المرادي، ثم القَرَني –بفتح الراء– منسوب إلى قرن، قبيلة معروفة. كان –رحمه الله– من أولياء الله المختفين الذين لا يؤبه لهم، ولولا أن رسول الله ﷺ أخبر عنه، ووَصَفه بوصفه، ونَعْته، وعلامته لَمَا عرفه أحد، وكان موجوداً في حياة رسول الله ﷺ، وآمن به، وصدَّقه، ولم يلقه، ولا كاتَبه، فلم يُعَدّ في الصحابة. وقد أخبر النبيّ ﷺ أنه من التابعين، حيث قال: "إنَّه خير التابعين". وقد اختُلف في زمن موته، فرُوي عن عبد الله بن سلمة قال: غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب ﷺ، ومعنا أويس القرني، فلما رجعنا مَرِض علينا، فحملناه، فلم يستمسك فمات، فنزلنا، فإذا قبر محفور، وماء مسكوب، وكفن وحنوط، فغسلناه، وكفَّناه، وصلّينا عليه، فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فعلّمنا قبره، فإذا لا قبر ولا أثر. وروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى رجل من أهل الشام يوم صفين: أفيكم أويس القرني؟ فقلنا: نعم، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أويس القرني خير التابعين بإحسان"، وعَطَف دابته، فدخل مع أصحاب علي. قال عبد الرحمن: فوُجد في قتلى أصحاب علي ﷺ. وله أخبار كثيرة، وكرامات ظاهرة، ذكرها أبو نعيم، وأبو الفرج ابن الجوزيّ في كتابيهما.

(**مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ**) أي: يحتقره، ويستهزئ ، قال النوويّ: وهذا دليل على أنه يُخفي حاله، ويكتم السر الذي بينه وبين الله عزوجل، ولا يَظهر منه شيء يدلّ لذلك، وهذا طريق العارفين، وخواصّ الأولياء ﷺ. انتهى.

(**فَقَالَ عُمَرُ**) ﷺ .

(**هَلْ هاهُنَا أَحَدٌ مِنَ القَرَنِيِّينَ؟**) أي : ممن ينسب إليهم .

(**فَجَاءَ ذلِكَ الرَّجُلُ**) الذي كان يسخر من أويس .

(**إنَّ رَجُلًا يَأتِيكُمْ مِنَ اليَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، لاَ يَدَعُ**) لا يترك .

(**باليَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ**) وفي رواية (هو بار بها) .

(**قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ**) وفي الرواية الآتية (كان به برص) .

(**فَدَعَا الله تَعَالَى**) أن يشفيه منه .

(**فَأَذْهَبَهُ إلاَّ مَوضِعَ الدِّينَارِ أَو الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**) يا معشر الصحابة .

١-استدل بالحديث من قال بجواز طلب الدعاء من الرجل الصالح الحي الحاضر ، وقد تكاثرت النصوص في ذلك :

أ- لحديث الباب. (حيث طلب عمر من أويس الدعاء) .

ب- ولحديث أنس (أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَكَتْ الأَمْوَالُ ، وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى يُغِيثُنَا ، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا. قَالَ أَنَسٌ

ج-وقالت أم الدرداء لزوج ابنتها صفوان بن عبد الله بن صفوان (أتريد الحج العام؟ قال: نعم، قالت: فادع الله لنا بخير). رواه مسلم

د-وقال الجبار لسارة (ادعي الله لي ولا أضرك).

هـ- وقال تعالى (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك).

وقد قرر جواز طلب المسلم الدعاء من أخيه المسلم كثير من أهل العلم .

حتى نقل الإمام النووي رحمه الله الإجماع عليه ، حيث يقول رحمه الله : باب استحباب طلب الدعاء من أهل الفضل ، وإن كان الطالب أفضل من المطلوب منه ، والدعاء في المواضع الشريفة ، اعلم أن الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصر ، وهو أمر مجمع عليه . (الأذكار)

كما يقرر حكم الجواز أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول : طلب الدعاء مشروع من كل مؤمن لكل مؤمن...فلهذا كان طلب الدعاء جائزا كما يطلب منه الإعانة بما يقدر عليه والأفعال التي يقدر عليها . (الفتاوى)

ويقول أيضا : ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه وممن هو دونه .

وقال ابن رجب رحمه الله : ينبغي للمنقطعين طلب الدعاء من الواصلين لتحصل المشاركة .

ويقول الشيخ ابن باز رحمه الله :طلب الدعاء من الأخ في الله أو الأخت في الله لا حرج فيه .

تنبيه :

لكن شيخ الإسلام ابن تيمية : ذكر أن طلب الدعاء من الغير جائز لكنه خلاف الأولى والأفضل بالمسلم ، إذ الأولى أن يتوجه إلى الله مباشرة ، ولا يتعرض لسؤال المخلوقين بأدنى شيء ولو بالدعاء ... ولكنه رحمه الله استثنى ما إذا كان طالب الدعاء قد قصد بطلبه الدعاء من غيره أن ينتفع ذلك المطلوب منه بتأمين الملائكة على دعائه ، فيتحقق لطالب الدعاء حينئذ فضل الدعاء أولاً ، وأجر نفع المطلوب منه بتأمين الملائكة ودعائها له ثانياً .

قال رحمه الله: ومن قال لغيره من الناس: ادع لي -أو لنا- وقصده أن ينتفع ذلك المأمور بالدعاء وينتفع هو أيضاً بأمره ويفعل ذلك المأمور به كما يأمره بسائر فعل الخير فهو مقتد بالنبي ﷺ، وأما إن لم يكن مقصوده إلا طلب حاجته لم يقصد نفع ذلك

والإحسان إليه، فهذا ليس من المقتدين بالرسول المؤتمين به في ذلك، بل هذا من السؤال المرجوح الذي تركه إلى الرغبة إلى الله ورسوله أفضل من الرغبة إلى المخلوق وسؤاله.

٢-فضل هذا التابعي الزاهد .

قال عنه الإمام الذهبي : القدوة الزاهد ، سيد التابعين في زمانه ، كان من أولياء الله المتقين ، ومن عباده المخلصين .

وعقد الإمام الحاكم في " المستدرك " باباً في مناقبه ، وقال عنه : أويس راهب هذه الأمة .

ولعل من أعظم ما روي في مناقبه الأحاديث الواردة في شفاعة رجل من أمة محمد ﷺ لأناس كثيرين ، وقد جاءت من روايات كثيرة ، أصحها حديث عبد الله بن أبي الجدعاء مرفوعاً (ليدخُلَنَّ الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم) رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

فقد صح عن الحسن البصري أن هذا الشافع هو أويس القرني ، وورد ذلك في أحاديث أخرى مرفوعة لكنها ضعيفة .

٣-حديث أويس هذا معجزة من معجزات النبي ﷺ ، فإنه أخبر عنه باسمه، ونسبه، وصفته، وعلامته، وأنه يجتمع بعمر ﷺ، وذلك كله من باب الإخبار بالغيب الواقع على نحو ما أخبر به.

قال القرطبيّ – رحمه الله –: حديث أويس هذا دليل من أدلة صحَّة صدق رسول الله ﷺ فإنَّه أخبر عنه باسمه، ونَسَبه، وصفته، وعلامته، وأنه يجتمع بعمر ﷺ، وذلك كله من باب الإخبار بالغيب الواقع على نحو ما أخبر به من غير ريب.

٤-بيان فضل هذا التابعيّ الجليل، وأنه خير التابعين بنص الحديث .

وقد اختلف أهل العلم في تحديد من هو سيد التابعين، بين أويس القرني رحمه الله، وسعيد بن المسيب رحمه الله .

فقال ابن الصلاح في مقدمته: "اختلف الناس في أفضل التابعين: فأهل المدينة يقولون: سعيد بن المسيب، وأهل الكوفة يقولون: أويس القرني، وأهل البصرة يقولون: الحسن البصري .

ثم قال الإمام البلقيني : الأحسن أن يقال: الأفضل من حيث الزهد والورع أويس، ومن حيث حفظ الخبر والأثر سعيد .

وقال النوويّ –رحمه الله–: هذا صريح في أنه خير التابعين، وقد يقال: قد قال أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيِّب .

والجواب: أن مرادهم أن سعيداً أفضل في العلوم الشرعية، كالتفسير، والحديث، والفقه، ونحوها، لا في الخير عند الله تعالى.

٥-فضلُ بِرِّ الوالدين، وفضل العزلة، وإخفاء الأحوال.

٦-استحباب طلب الاستغفار والدعاء من أهل الصلاح، وإن كان الطالب أفضل منهم.

٧- بيان أحوال الصالحين المخلصين، فإنهم يحبّون الخمول وعدم الظهور؛ لأنه أعون على صلاح القلب، وعدم الغرور، والإعجاب بالنفس.

٨-**قال القرطبي** : في قوله : إن استطعت أن يستغفر لك فافعل": هذا لا يُفهم منه أن أويساً أفضل من عمر ﷺ، ولا أن عمر غير مغفور له؛ للإجماع على أن عمر ﷺ أفضل منه؛ ولأنه تابعيّ، والصحابي أفضل من التابعيّ، على ما بيّناه غير مرَّة، إنَّما مضمون ذلك: الإخبار بأن أويساً ممن يُستجاب دعاءه، وإرشاد عمر إلى الازدياد من الخير، واغتنام دعوة من تُرتجى إجابته، وهذا نحو مما أمَرَنا النبيّ ﷺ به من الدعاء له، والصلاة عليه، وسؤال الوسيلة له، وإن كان النبيّ ﷺ أفضل ولد آدم، ويروى أن رسول الله ﷺ قال لعمر ﷺ لَمّا خرج لِيَعْتمر: "يا أُخيّ أشركنا في دعائك، ولا تنسنا"، رواه أحمد، والترمذيّ .

٩-فعل عمر ﷺ يدل على حرصه على تبليغ الشريعة، ونشر السُّنة، والإقرار بالفضل لأهله، والثناء على من لا يُخشَى عليه عُجْب بذلك؛ ليقينه وكمال إيمانه.

١٠-أن أويسًا - على كرم حاله وعلو منزلته - أصابه مرض البرص، واجتهد في الدعاء بالشفاء، فشفاه الله إلا موضع درهم منه، أراد الله أن يبقى هذا الموضع؛ ليتذكر أويس ما كان به من هذا الداء، فيبعثه ذلك على الزيادة في الشكر؛ إذ من عادة الآدمي - بحكم الإلف والعادة - نسيان النِّعَم، إلا من وفَّقه الله.

١١-قول أويس للرجل الكوفي: (أنت أحدث عهدًا بسفر صالح، فاستغفِر لي): فيه أشار إلى فضل السفر الصالح، وأن القادم منه أرجى لإجابة دعائه؛ فلذا سأله أويس الدعاء.

١٢-البر بالوالدين من أسباب استجابة الدعوات: إن البر بالوالدين من أسباب القبول عند الله تعالى، وبه ينال المرء مرتبة استجابة الدعوات، كما يشير - والله أعلم - سياق كلمات الحديث إلى ذلك؛ إذ ذكر النبي ﷺ بِرَّ أويس بوالدته، وإبرار الله إياه إن أقسم على الله بشيء جنبًا إلى جنب.

١٣-ترك الشهرة من صفات المخلصين .

قيل : ما صد عن دين الله مثل طلب المحامد.

قال ﷺ (مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِه).

وقد ذكر العلماء: أن من أعظم علامة الزهد استواء المدح والثناء، وأن الإنسان لا يبالي بمدح أو ذم في دين الله.

عن يونس بن ميسرة، قال: ليس الزَّهادة في الدُّنيا بتحريم الحلال، ولا بإضاعة المال، ولكن الزهادة في الدُّنيا أنْ تكونَ بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأنْ يكونَ حالك في المصيبة وحالُك إذا لم تُصب بها سواءً، وأنْ يكون مادحُك وذامُّك في الحقِّ سواء.

وقد صدق من قال من السلف: من أحب أن يعرف ذهب دينه.

قال الحسن رحمه الله: عقوبة العالم موت القلب، قيل له: وما موت القلب؟ قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة (جامع بيان العلم وفضله).

عن شهر بن حوشب قال: من ركب مشهورًا من الدواب ولبس مشهورًا من الثياب أعرض الله عنه وإن كان كريمًا .

عن سفيان الثوري قال: إياك والشهرة؛ فما أتيت أحدًا إلا وقد نهى عن الشهرة .

وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق اللهَ عبدٌ أحب الشهرة .

وقَالَ أيوب السختياني: مَا صدق عبد قط، فأحب الشهرة .

وقال بشر بن الحارث: مَا اتقى الله من أحب الشهرة".

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: "الخير كله أن تزوى عنك الدنيا، وَيُمَنَّ عليك بالقُنُوع، وَتُصْرَفَ عنك وجوه الناس .

وقيل : الخمول نعمة، وكل يأباه. والشهرة آفة، وكل يرضاه .

وفي الحديث : قال ﷺ (إنَّ أوَّل النَّاس يُقضَى يوم القيامة عليه: رجلٌ استُشهِد، فأُتِي به، فعرَّفه نِعَمه فعرَفها، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتَّى استُشهدت، قال: كذبتَ ولكنَّك قاتلتَ لأنْ يُقال: جريءٌ، فقد قيل، ثُمَّ أُمِر به فسُحِب على وجهه حتَّى أُلقِيَ في النَّار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتِي به فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنَّك تعلَّمت العلم؛ لِيُقال: عالِمٌ، وقرأتَ القرآن ليقال: هو قارئٌ، فقد قيل، ثمَّ أمر به، فسُحِب على وجهه حتَّى ألقي في النَّار، ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتِي به فعرَّفه نعمه فعرفها،

قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن ينفق فيها إلاَّ أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنَّك فعلتَ ليُقال: هو جوَادٌ، فقد قيل، ثُمَّ أُمِر به، فسُحب على وجهه، ثمَّ ألقي في النَّار) رواه مسلم .

فهؤلاء الثَّلاثة وعمَلُهم الجليل – سواء كان الشَّهادة، أو تعليم العلم، أو الإنفاق في سبيل الله – يُعدُّ من أعظم الأعمال في ميزان الإسلام، ولكنَّهم أحبَطوا ثوابَ عمَلِهم بسبب طلب الشُّهرة بين النَّاس، وحب الظُّهور الذي يَقْصِم الظُّهور، فكانوا أوَّل من تُسعَّرُ بهم جهنَّم، فهم حطَبُها الأوَّل ؛ لأنَّهم أرادوا أن يَكونوا أوَّلَ الناس، وعلى رأسهم ، فعاقبَهم الله بمِثْل قصدِهم، والجزاء من جنس العمل .

قال الذهبيُّ : ينبغي للعالِم أن يتكلَّم بنِيَّة وحُسْن قصد، فإنْ أعجبَه كلامُه فلْيَصمت، فإن أعجبه الصَّمت فلينطق، ولا يفتُرْ عن محاسبة نفسه؛ فإنَّها تحبُّ الظهور والثَّناء .

ومن أعظمِ الفتنِ التي تَعصفُ بالدينِ حبُّ الجاهِ وطلبُ الشهرةِ .

فقد شبَّه النبيُّ ﷺ أثرَها على إفسادِ دينِ ذي الدينِ – فضلًا عن قليلِه – بأعظمَ من فتْكِ ذئبينِ جائعَينِ أُرسلا في زَريبةِ غنمٍ خاليةٍ من الحامي .

قال ﷺ : مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ ، رواه أحمدُ والترمذيُّ وقال: حسنٌ صحيحٌ؛ ولذا كان الأصلُ المقرَّرُ شرعًا عند أهلِ العلمِ ذمَّ طلبِ الشهرةِ إن خَلَتْ من المقصدِ المشروعِ وإنْ كانت في لباسٍ؛ فكيف بما زاد عنه؟!

وقال ابنُ بطَّالٍ: "ولا ينبغي للرجلِ المسلمِ أنْ يُشْهِرَ نفسَه في خيرٍ، ولا شرٍّ .

وقال ابنُ تيميةَ: "السلفُ كانوا يكرهون الشهرتيْن؛ المترفِّعَ، والمتخفِّضَ .

قال الإمام الغزالي رحمه الله: اعلم– أصلحك الله– أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار، وهو مذموم، إلا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلُّف طلب الشهرة منه، فالمذموم طلب الشهرة، فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلُّف من العبد فليس بمذموم.

قال الإمام المروذي رحمه الله: سمعت أبا عبدالله يقول: من بُلي بالشهرة لم يأمن أن يفتنوه .

قال بشر بن الحارث الحافي: ما أعلم أحدًا أحبَّ أن يُعرَف إلا ذهب دينُه وافتُضِح .

قال الإمام الغزالي رحمه الله: اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخَلْق، مشغوفًا بالتودُّد إليهم، والمراءات لأجلهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتًا إلى ما يُعَظِّم منزلته عندهم، وذلك أصل الفساد، ويجرُّ ذلك لا محالة إلى التساهُل في العبادات، وإلى اقتحام المحظورات.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: إذا رأيت الإمام في المحراب لهجًا بالقراءات، وتتبُّع غريبها، فاعلم أنه فارغ من الخشوع، محبٌّ للشهرة والظهور.

٣٧٣ – وعن عمر بن الخطاب ﷺ قَالَ (اسْتَأذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في العُمْرَةِ، فَأذِنَ لِي، وَقالَ: «لاَ تَنْسَنا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ» فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا.وفي رواية: وَقالَ: «أشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ».

حديث صحيح رواه أَبُو داود والترمذي، وَقالَ: «حديث حسن صحيح».

==========

١–دعاء المسافر مستجاب .

٢–جواز طلب الدعاء من الصالحين، بشرط ألا يكثر من الطلب وألا يترك الدعاء اعتمادا على دعاء الناس وألا يغلب على ظنه حصول عجب لمن يطلب منه الدعاء .

٣–جواز طلب المقيم من المسافر الدعاء، ووصيته له بالدعاء في مواطن الخير، ولو كان المقيم أفضل من المسافر .

٣٧٤ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ (كَانَ النَّبيُّ ﷺ يزور قُبَاءَ رَاكِبًا وَمَاشِيًا، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية (كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَأتِي مَسْجِد قُبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ رَاكِبًا، وَمَاشِيًا وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ) .

==========

١–مشروعية زيارة مسجد قباء للصلاة فيه .

ومسجد قباء هو أول مسجد بُني في الإسلام عندما وصل النبي ﷺ إلى قباء مهاجراً من مكة وقد شارك النبي ﷺ في بنائه، ومسجد قباء يقع في الجنوب الغربي للمدينة، ويبعد عن المسجد النبوي قرابة خمسة كيلومترات، وكان النبي ﷺ يقصده بين الحين والآخر ليصلي فيه، وكان يأتيه تارة راكبًا، وتارة ماشيًا، فيصلي فيه ركعتين، كما في حديث الباب .

٢–والصلاة في مسجد قُباء تعدل أجر عُمرة .

فقد أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أُسيد بن ظهير الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (صلاةٌ في مسجد قُبَاءَ كعمرة) .

وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قُبَاء، فصلى فيه صلاة كان له كأجر عُمرة) .

٣–لايشرع زيارة إلا ما ورد الشرع بذلك .

فمما يضاف إليه من الأماكن المشروع زيارتها دون قصدها بالسفر زيارة قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه وزيارة قبور أهل البقيع وقبور شهداء أحد وآخر ذلك : زيارة مسجد قباء .

أما زيارة بقية المساجد والأماكن الأثرية وادعاء أنها " مما ينبغي أن يزورها المرء " فهذا لا أصل له ، ويجب المنع من زيارتها للوجوه التالية :

الوجه الأول : لعدم ورود الدليل الشرعي على تخصيص تلك المساجد بالزيارة كما هو الحال بالنسبة لمسجد قباء ، والعبادات كما هو معلوم مبناها على الاتباع لا على الابتداع .

الوجه الثاني : أن الصحابة ﷺ كانوا أحرص الناس على اقتفاء سنة النبي ﷺ ومع ذلك لم يعرف عنهم زيارة تلك المساجد أو الأماكن الأثرية ، ولو كان خيرا لسبقونا إليه .

قال ابن تيمية –رحمه الله– : (كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجاً وعماراً ومسافرين ولم يقل أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي ﷺ ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبا لكانوا إليه أسبق فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم) (اقتضاء الصراط) .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : (ولهذا لم يستحب علماء السلف من أهل المدينة وغيرها قصد شيء من المزارات التي بالمدينة وما حولها بعد مسجد النبي ﷺ إلا مسجد قباء لأن النبي ﷺ لم يقصد مسجدا بعينه يذهب إليه إلا هو) . (مجموع الفتاوى)

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – بعد أن ذلك المواضع التي يشرع زيارتها في المدينة : (أما المساجد السبعة ومسجد القبلتين وغيرها من المواضع التي يذكر بعض المؤلفين في المناسك زيارتها فلا أصل لذلك ولا دليل عليه والمشروع للمؤمن دائما هو الاتباع دون الابتداع) .

وقال فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عثيمين حفظه الله : (ليس هناك شيء يزار في المدينة سوى هذه : زيارة المسجد النبوي ، زيارة قبر النبي ﷺ ، زيارة البقيع ، زيارة شهداء احد ، زيارة مسجد قباء ، وما عدا ذلك من المزارات فإنه لا أصل له) .

فائدة :

أول مسجد بناه النبي ﷺ هو مسجد قباء في المدينة النبوية .

قال ابن القيم في "زاد المعاد" وهو يذكر دخول الرسول ﷺ المدينة : "وكبَّر المسلمون فرحا بقدومه وخرجوا للقائه ... فسار حتى نزل بقباء في بني عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس بعد النبوة" انتهى بتصرف

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : ومن حيث الأولية النسبية : فالمسجد الحرام أول بيت وضع للناس ، ومسجد قباء أول مسجد بناه المسلمون ، والمسجد الحرام بناه الخليل ، ومسجد قباء بناه خاتم المرسلين ، والمسجد الحرام كان مكانه باختيار من الله وشبيه به مكان مسجد قباء . (أضواء البيان) .

فائدة :

لما أقبل النبي ﷺ نحو المدينة نزل في قباء ، ومكث بها أربعة أيام ، وبنى مسجد قباء وصلى فيه ، ثم سار نحو المدينة ، فبنى مسجده بها حيث بركت الناقة .

قال المباركفوري : في يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة– وهي السنة الأولى من الهجرة– الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ٦٢٢ م نزل رسول الله ﷺ بقباء ... وأقام رسول الله ﷺ بقباء أربعة أيام: الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس .

وأسس مسجد قباء وصلى فيه ، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة .

فلما كان اليوم الخامس–يوم الجمعة– ركب بأمر الله له، وأبو بكر ردفه، وأرسل إلى بني النجار–أخواله– فجاؤوا متقلدين سيوفهم، فسار نحو المدينة، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، وكانوا مائة رجل .

وبعد الجمعة دخل النبي ﷺ المدينة– ومن ذلك اليوم سميت بلدة يثرب بمدينة الرسول ﷺ ، ويعبر عنها بالمدينة مختصرا– وكان يوما تاريخيا أغر .

وسارت الناقة حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا، ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها، وذلك في بني النجار– أخواله ﷺ . (الرحيق المختوم) .